

قصة حادثة للكاتب نجيب محفوظ كان يتكلم في تليفون الدكان بصوت مُرتفع، يُسمع صوته رغم ضوضاء شارع الجيش
الصاحب، وجعل يميل بنصفه الأعلي داخل الدكان ليبتعد ما أمكن عن الضوضاء، ثم ختم حديثه بقوله: "إنتظرنى سأحضر
فوراً". كان في الستين أو نحوها، طويل القامة نحيلها وروى الجبهة والعينين. مُكَّور الذقن وأما صلغته فلم يبقى فوق مرآتها إلا
جذور شعر أبيض مثل منابت شعر ذقنه، وقد أفصح مظهره عن إهمال صريح نتيجة للسن أو الطبع أو نسيان اللذات، علي ذلك
كان يتمتع بحيوية مرحة وتلتمع عيناه بنشاط وابتهاج. وبدا أنه ينظر إلي الداخل لا إلي الطريق ثم مال يُمنة بمحاذاة صف من
اللوريات الواقفة نسق التوار حتي وجد منفذا إلي الشارع، مرق من المنفذ ليعبر الشارع إلي ضفته الأخرى، وما كاد يجاوز مُقدمة
اللوري الأخير حتي شعر بسيارة فورد تندفع نحوه بسرعة فائقة. وقال أحد الشهود فيما بعد إنه كان عليه أن يتراجع بسرعة وأنه لو
فعل ذلك لنجا رغم سرعة السيارة، ولكنه لسبب ما لعلهُ المفاجئة أو سوء التقدير وثب إلي الأمام وهو يهتف "ياساتر يارب" وجرت
الحوادث متلاحقة. ندّت عن الرجل صرخة كالعواء وفي ذات الوقت انطلقت صرخات الفزع من المارة الواقفين علي التوار، وفوق
إفريز محطة الترام صدر عن فرملة الفورد صوت محشرج متشنج ممزق وهي تزحف علي الأرض بعجلات متوقفة جامدة وهرع
نحو الضحية في ثوان عشرات وعشرات كأسراب الحمام، حتي تكون منهم سور غليظ منبع وانتشر في المنطقة الهرج، ولم ينبض
جسم الرجل بحركة واحدة، وكان منكفئا علي وجهه ولا يجرؤ أحد علي لمسه وإحدي رجليه ممدودة إلي آخرها والأخرى منثنية
منحسرة البنطلون عن ساق نحيلة غزيرة الشعر، وقد فقدت حذائها، وكأن الأمر لا يعنيه البتة. الرجل وهو يرتفع في الفضاء امتارا ثم
يهوي فوق الأرض كشيء، أندفع هو من أمام اللوري فجأة، وبسرعة وبدون أن ينظر إلي يساره كما يجب"، وإذا لم يجد وجهها
مستجيبا عاد ليقول بلهجة خطابية: "لم يكن بإمكانني تفادي الصدمة". حي، لعلها إصابة بسيطة" لكنه طار في الهواء والعياذ
بالله" ولو عفو ربنا كبير، لا يوجد دم؟" "عند فمه انظر." كل ساعة حادثة من هذا النوع وجاء شرطي مسرعا وفتح له وقع قدميه ثغرة
في السور الآدمي، نفذ منها وهو يصيح في الناس أن يبتعدوا خطوات. خطوات فقط وعينهم لا تتحول عن الرجل ولا تخفي حدة
تطلعها وإشفاقها وقال إنسان: "سبقي هكذا حتي يموت ونحن لا نفعل شيئا" فأجابه الشرطي بلهجة رادعة "أقل لمسة قد تقتله،
وبوليس النجدة والإسعاف في الطريق اليه" واعترض الحادث جانب الطريق واضطرت السيارات إلي الإلتفاف حول السور
البشري مشاركة الترام في ممشاة. فضاق بها حتي تحركت في بطاء شديد وتجمعت في صفوف ممتدة ومتداخلة وهي تصرخ وتعوي
بلا فائدة، ومن ركابها تطلعت أعين إلي الضحية في اهتمام وأعين تجنبت النظر في جذع. وجاء بوليس النجدة وراء صفارته
الحلزونية فاتسعت الحلقة وغادرت القوة السيارة إلي الرجل الملقى وكان الضابط حاسما وحازما، فأصدر أمرا بتفريق
المتجمعين، وتفحص الرجل بنظرة شاملة وسأل الشرطي: "ألم تحضر الإسعاف؟" وإذا لم تكن ثمة ضرورة إلي السؤال فإنه لم يلق
بالا إلي الجواب، وتساءل مرة أخرى: "هل من شهود؟" فتقدم ماسح أحذية وسائق لوري وصبي كباجي كان عائدا بصينية فارغة،
وأعادوا علي مسمع الضابط ما حدث منذ ما كان الرجل المجهول يتكلم في التليفون. ثم نهض متوجها إلي الضابط فبادره هذا
قائلا: "أظن يجب نقله إلي الإسعاف"، فقال الآخر بلهجة ذات أثر لا يختلف عادة عن الأثر الذي يحدث عن جرس سيارته: "بل يجب
نقله إلي مستشفى الدمرداش" وأدرك الضابط ما يعنيه ذلك علي حين استطرد رجل الإسعاف قائلا: "أعتقد أن الحالة خطيرة
جدا". وعندما أُرقد الرجل بحجرة الفحص في مستشفى الدمرداش، كانت طلّاع الليل تزحف كالجبال، ثم التفت إلي مساعده قائلا:
"إصابة خطيرة في الرئة اليسري، تهدد القلب مباشرة" عملية! "فهز رأسه قائلا: "إنه يحتضر!" وصدقت فراسة الطبيب فلقد تحرك
الرجل حركة شاملة كالرعدة واضطرب صدره متلاحقا متحشرجا، ثم شهب شهقة خفيفة واستكن، وكان الطبيبان
يراقبانه، فالتفت المدير نحو مساعده وهو يقول انتهى. وجاء ضابط النقطة والراجل ما يزال راقدا بكامل ملابسه، عدا فردة الحذاء
المفقودة، وقال الطبيب: "هذه الحوادث لا تنتهي"، فقال الضابط وهو يوميء إلي الفقيد: "وشهادة الشهود ليست في صالحه"، ودس
الضابط يده برفق في جيب الجاكتة الداخلي فاستخرج حافظة نقود قديمة متوسطة الحجم ومضي يفتشها جيبا جيبا، ويملي علي
الشاويش: "خمسة وأربعون قرشا من العملة الورقية، رويشة للدكتور فوزي سليمان"، وألقى نظرة عابرة علي أسماء الأدوية، ولكنه
لاحظ وجود كتابة علي ظهرها وجره بصره عليها بلا إرادة فإذا بها ويستحسن تجنب المنبهات كالشاي والقهوة والشيكولاته" وابتسم
الضابط ابتسامة باطنية، إذ أن تعليمات شبيهة صدرت إليه من طبيبه في نفس الشأن، مجلد صغير من الصور القرانية، ولما لم يجد
شيئا آخر في الحافظة قال بضيق: "لا توجد بطاقة تحقيق شخصية"، مندبل، ساعة يد، وكان آخر ما عثر عليه صفحة مطوية من
كراسه وبسطها فوجدها رسالة لم تغلف بمظروف بعد، فأمل أن يصادف فيها ما يستطيع أن يستدل به علي شخصية الرجل. نظر
أول ما نظر علي الإمضاء ولكنه لم يزد عن "أخوك عبد الله". فعاد إلي رأس الصفحة ولكن الرسالة كانت موجهة إلي أخي العزيز

أدامه الله" فاستاء من هذه المعاندة ولم يجد بُداً من قرائتها. – "أخي العزيز أدامه الله، اليوم تحقق لي أكبر أمل في الحياة"، أضرط إلي التوقف رافعا عينيه إلي تاريخ الرسالة وكان تاريخ اليوم نفسه ٢٠ فبراير، وامتد بصره فوق الوجه الأسطر إلي الوجه الباهت المشئوب بزرقه مخيفة المغلق كسر، الجامد كتمثال، ذلك الذي تحقق له أكبر أمل في الحياة وتسائل الطبيب عثرت علي شيء؟ فانتبه إلي نفسه وابتسم ابتسامة إستهانة ليدل علي اعتياده أي شيء وقال "اليوم تحقق لي أكبر أمل في الحياة" بذلك بدأت الرسالة وعاد إلي القراءة متجنباً النظر إلي عيني الطبيب، انزاحت جميعاً والحمد لله، أمينة وبهية وزينب في بيوتهن،